في سماء الفداء

شعر

د. محمود أبو الهدى الحسيني

شـــــــاخت تجاعيـــــــد العجـــــــوز الســـــــاحر .
فغـــــــدا إلـــــــى ملـــــــك الـــــــبلاد الآمـــــــر
قـــــــال : المشـــــــيبُ غـــــــزا حكيمَـــــــك فـــــــأتني .
بفتـــــــىً أعلمـــــــه ذكـــــــيٍّ مـــــــاهر
فاختـــــــار طفـــــــلاً فـــــــي ثنايـــــــا وجهـــــــه .
نبـــــــلُ الســـــــمات بـــــــدا وصـــــــفوُ الخـــــــاطر
وغـــــــدا الغـــــــلام وراح كـــــــلَّ صـــــــبيحةٍ .
وأصـــــــيلِ يـــــــومٍ بالمتاعـــــــبِ زاخـــــــر
يصـــــــغي إلـــــــى الســـــــحر المضـــــــلل ســـــــاهما .
ويعـــــــود ثانيـــــــة بقلـــــــب حـــــــائر
لكـــــــنَّ صـــــــومعةً بـــــــدت براقـــــــة .
يزهـــــــو تواضُـــــــعها بثـــــــوب آســـــــر
كانـــــــت علـــــــى درب الغـــــــلام كأنهـــــــا .
تـــــــدعوه ناطقـــــــةً بســـــــر غـــــــابر
فيهـــــــا حكـــــــيم راهـــــــب متعبـــــــد .
بـــــــادي المهابـــــــة ذو وقـــــــارٍ بـــــــاهر
وقـــــــف الغـــــــلامُ ببابهـــــــا متـــــــأملاً .
وكأنهـــــــا تخفـــــــي كنـــــــوزَ بشـــــــائر
فأجـــــــال راهبهـــــــا بمـــــــن فـــــــي بابهـــــــا .
نظـــــــراً وحـــــــدَّقَ فـــــــي الغـــــــلام الزائـــــــر
يـــــــا للحقيقـــــــة إنـــــــه فـــــــي صـــــــدره .
قلـــــــب يفكـــــــر باحثـــــــاً عـــــــن غـــــــائر
فـــــــرأى مـــــــن الأمـــــــر المحـــــــتم عونَـــــــه .
حتـــــــى يفـــــــيء إلـــــــى العزيـــــــز القـــــــادر

***

عنايـــــــــــــــــــــــة الله ســـــــــــــــــــــــاقت .
ومهجـــــــــــــــــــــــة الصـــــــــــــــــــــــب تاقـــــــــــــــــــــــت
إذا أرادك عبـــداً .
لـــــــــــــــــــــــك المنـــــــــــــــــــــــى تتواقـــــــــــــــــــــــت
لا تشـــــــــــــــــــــــــــتغل بهشـــــــــــــــــــــــــــيم .
إذا المدامـــــــــــــــــــــــــــــــة راقـــــــــــــــــــــــــــــــت
الكـــــــــــــــــــــــأس حنـــــــــــــــــــــــت لحـــــــــــــــــــــــانٍ .

والـــــــــــــدار بالشـــــــــــــوق ضـــــــــــــاقت

***

خـــــــــــــــرج الغـــــــــــــــلام مودَّعـــــــــــــــا .
فـــــــــــــــرح الفـــــــــــــــؤاد بمـــــــــــــــا وعـــــــــــــــى
الســـــــــــــــحر ضَـــــــــــــــلله وهـــــــــــــــذا .
النـــــــــــــــور يغـــــــــــــــزو الأضـــــــــــــــلعا
فـــــــــــــــإلام يمكـــــــــــــــث حـــــــــــــــائراً .
فـــــــــــــــي أمـــــــــــــــره متصـــــــــــــــدعا
رمـــــــــــــــق الســـــــــــــــماء بنظـــــــــــــــرة .
وجـــــــــــــــرى علـــــــــــــــى فمـــــــــــــــه الـــــــــــــــدعا :
يـــــــــــــــارب فـــــــــــــــأذن للهـــــــــــــــدى .
فـــــــــــــــي ظلمتـــــــــــــــي أن يطلعـــــــــــــــا

***

يومـــــــــاً أخـــــــــاف النـــــــــاس وحـــــــــشٌ كاسِـــــــــرُ .
لـــــــــم يخـــــــــط نحـــــــــو طريقـــــــــه متجاسِـــــــــرُ
قـــــــــال الغـــــــــلام اليـــــــــوم أعلـــــــــمُ مـــــــــن علـــــــــى .
حـــــــــقٍ ومـــــــــن هـــــــــو فـــــــــي الضـــــــــلال الخاســـــــــرُ
ومضـــــــــى بصـــــــــدق فـــــــــي الـــــــــدعاء مناجيـــــــــاً .
يـــــــــا مـــــــــن علـــــــــى كـــــــــل الـــــــــورى هـــــــــو قـــــــــاهرُ
إن كـــــــــان قـــــــــولُ الراهـــــــــبِ الحـــــــــقَّ الـــــــــذي .
بســـــــــناه ترضـــــــــى والكـــــــــذوبَ الســـــــــاحرُ
فاقتـــــــــل إلهـــــــــي ذلـــــــــك الـــــــــوحشَ الـــــــــذي .
حـــــــــبس العبـــــــــاد ونعـــــــــمَ أنـــــــــت الناصـــــــــرُ
ســـــــــقط الهزَبْـــــــــرُ مضـــــــــرّجاً بدمائـــــــــه .
لمـــــــــا رمـــــــــى الحجـــــــــرَ الغـــــــــلام الطـــــــــاهرُ
وتألقـــــــــت شـــــــــمس الحقيقـــــــــة فـــــــــي ضـــــــــحى .
عـــــــــين اليقـــــــــين وعـــــــــم نـــــــــورٌ بـــــــــاهرُ

***

لا تدنـــــــــــــــــــــــــدن بالملامـــــــــــــــــــــــــة .
للمـــــــــــــــــــــــــرادين علامـــــــــــــــــــــــــة
ربمـــــــــــــــا مـــــــــــــــن أجـــــــــــــــل مجـــــــــــــــرى .
دمعـــــــــــــــة قامـــــــــــــــت قيامـــــــــــــــة
هـــــــــــــــل عجيـــــــــــــــب أنـــــــــــــــه يعطـــــــــــــــي - م - .
محبيـــــــــــــــــــــــــه كرامـــــــــــــــــــــــــة

***

أعطيـــــــــــــــت قلـــــــــــــــب الراشـــــــــــــــد .
ورأيـــــــــــــــت نـــــــــــــــور الواحـــــــــــــــد
ولمِـــــــــــــــا ارتقيـــــــــــــــت مـــــــــــــــن العُـــــــــــــــلا .

فســـتبتلى بشـــدائد
فـــاكتم علـــي الســـر لا .
تُفصـــح بقولـــة شـــاهد
قـــال العجـــوز الشـــيخ .
وهـــو يضـــمه كالوالـــد
وتباعـــدا والـــدمع فـــي - م - .
الأجفـــان دمـــع مكابـــد
***
فـــتح الإلـــه علـــى الغـــلام فكـــان فـــي .
أســـقام أهـــل الأرض أحســـنَ نـــاظر
يبـــري بـــإذن الله كـــل مبـــرح .
ويـــزيح آفـــات المعنـــى الخـــائر
حتـــى أراد الله أن يلـــد الـــدجى .
قســـماتِ فجـــر بالهدايـــة غـــامر
فأصـــيب مـــن آل المليـــك جليسُـــه .
وأتـــى يبرحـــه عمـــاء محـــاجر
قـــال : اشـــفني ولـــك الـــذي تهـــواه مـــن .
كـــل الأمـــاني والعطـــاء الـــوافر
فأجـــاب مـــا يشـــفي ســـوى ربـــي الـــذي .
ســـجد النبـــات لـــه ونجـــم الســـاهر
ولـــه عنـــت كـــل الوجـــوه بـــأمره - م - .
ولـــه وهبـــت ســـرائري وظـــواهري
آمـــن بـــه يـــا صـــاحبي تـــر بـــره .
مـــا خـــاب ســـائله بقلـــبٍ طـــاهر
نفـــذ الضـــياء إلـــى الجلـــيس وفتّحَـــت .
عينـــان فـــي قلـــبٍ ومقلـــة نـــاظر
وســـعى إلـــى الملـــك العتِـــيِّ مُزَيَّنـــاً .
والنـــور يغمـــره بحســـنٍ بـــاهر
دهـــش المليـــك وقـــال : مـــن عافـــاك يـــا .
خلـــي ؟. فقـــال : عطيـــةٌ مـــن قـــادر
خلـــق الســـماء وزانهـــا بجمالـــه .
والأرضَ أكرمهـــا بخيـــرٍ زاخـــر
فلـــه حيـــاتي والممـــاتُ وحبُّـــه .
قـــد صـــار فـــي لـــب الســـويدا عـــامري
غضـــب المليـــك وصـــاح هـــل مـــن خـــالق .
غيـــري ينـــازعني عظـــيم مفـــاخري
وســـطا عليـــه معـــذباً ومـــنكلا .
حتـــى أشـــار إلـــى الغـــلام الطـــاهر
***
.

لســـــــــــــت تحظـــــــــــــى بمنحـــــــــــــة .
لا تُعَنّـــــــــــــى بمحنـــــــــــــة
وكـــــــــــــذا كـــــــــــــل فاقـــــــــــــة .
بعـــــــــــــدها خيـــــــــــــر جنـــــــــــــة
هكـــــــــــــذا الـــــــــــــدار فتنـــــــــــــة .
تتلاقـــــــــــــى بفتنـــــــــــــة
فاشـــــــــــــرب الشـــــــــــــهد صـــــــــــــافياً .
مـــــــــــــع لـــــــــــــدغٍ بنحلـــــــــــــة
***
.
الغـــــــــــلام الميمـــــــــــون يُبـــــــــــرق نـــــــــــوره .
واقفـــــــــــاً والمليـــــــــــك جُـــــــــــنَّ غـــــــــــروره
جـــــــــــزت بالســـــــــــحر يـــــــــــا غـــــــــــلام الأمـــــــــــاني .
وتلاشـــــــــــى فـــــــــــي راحتيـــــــــــك عســـــــــــيره
ثـــــــــــم واعـــــــــــدتنا جحـــــــــــوداً وكفـــــــــــرا .
شـــــــــــاع تضـــــــــــليله وأســـــــــــفر زوره
فوحـــــــــــق المُلـــــــــــك التليـــــــــــد - م - .
ســـــــتكويك لـــــــئن لـــــــم تعـــــــد إلينـــــــا ســـــــعيره
فأجـــــــــــاب الغـــــــــــلام مستعصـــــــــــماً - م - .
بـــــــالله : ركّـــــــبُ الإيمـــــــان هـــــــب نفيـــــــره
فـــــــاقض مـــــــا شـــــــئت إن ربـــــــك بالمرصـــــــاد - م - .
مـــــــا خـــــــاب فـــــــي الـــــــورى منصـــــــوره
فاستشـــــــــــاط المليـــــــــــك كبـــــــــــرا ونـــــــــــادى .
أهلكـــــــــــوه فقـــــــــــد تمـــــــــــادت شـــــــــــروره
وأبـــــــى الله كـــــــلُّ مـــــــن جـــــــاء يبغـــــــي .
قتلـــــــــــه قـــــــــــد أبـــــــــــاده مقـــــــــــدوره
***
.
صـــــــعِد الجنـــــــود بـــــــه إلـــــــى جبـــــــل عـــــــل .
قـــــــال اكفنـــــــيهم يـــــــا رجـــــــاءَ مؤمـــــــل
فتســـــــاقطوا مـــــــن فوقـــــــه صـــــــرعى ومـــــــا .
ثَبَتـــــــوا علـــــــى بركانـــــــه المتزلـــــــزل
وأتـــــــى الفتـــــــى الملـــــــكَ الجحـــــــود مناديـــــــا .
أنـــــــا فـــــــي حمايـــــــة مالـــــــك الملـــــــك العلـــــــي
صـــــــاح المليـــــــك لأغرقنـــــــك يـــــــا فتـــــــى .
أنـــــــا يـــــــا صـــــــغيراً قـــــــدره لـــــــم أخـــــــذل
***
.
هكـــــــــــذا الحمقـــــــــــى جميعـــــــــــا .
إن رأوا ســـــــــــــراً بـــــــــــــديعا
كفـــــــــــراش شـــــــــــده الـــــــــــوهجُ .
فـــــــــــأرداه صـــــــــــريعا

عجبـــــــــــــاً للجاهـــــــــــــل الأحمـــــــــــــق - م - .
إذ يمضـــــــــــــــــــــي ســـــــــــــــــــــريعا
راجيـــــــــــــاً تـــــــــــــدمير صـــــــــــــرح .
شـــــــــــــــــــــاده الله منيعـــــــــــــــــــــا
***
.
أرسَـــــــــــــــــــــلُوه بـــــــــــــــــــــزورق .
وكـــــــــــــــــــــلام منمـــــــــــــــــــــق
ويلـــــــــــــــه اليـــــــــــــوم مـــــــــــــن فتـــــــــــــى .
فـــــــــــــــــــــي تماديـــــــــــــــــــــه أحمـــــــــــــــــــــق
أغـــــــــــــــــــــرق الله ركـــــــــــــــــــــبهم .
هلـــــــــــــــــــــك الموكـــــــــــــــــــــب الشـــــــــــــــــــــقي
والفتـــــــــــــــــــــى عـــــــــــــــــــــاد ظـــــــــــــــــــــافراً .
بنجـــــــــــــــــــــاح محلـــــــــــــــــــــق
***
.
عجَـــــــــــــز المليـــــــــــــك وبـــــــــــــان بـــــــــــــين النـــــــــــــاس - م - .
مقهـــــــــــــــــــــوراً ذلـــــــــــــــــــــيلا
قـــــــــــــال الفتـــــــــــــى اســـــــــــــمع قـــــــــــــولتي .
إن شـــــــــــــــــــــئت أن أُردى قتـــــــــــــــــــــيلا
خـــــــــــــذ مـــــــــــــن ســـــــــــــهامي واحـــــــــــــداً .
وارقُـــــــــــــب لموعـــــــــــــدك الأصـــــــــــــيلا
واحشـــــــــــــر جميـــــــــــــع النـــــــــــــاس حـــــــــــــولي - م - .
ينظـــــــــــــروا اليـــــــــــــوم الجلـــــــــــــيلا
وارفـــــــــــــع نـــــــــــــداءك باســـــــــــــم ربـــــــــــــي - م - .
وارمنـــــــــــــي واشـــــــــــــف الغلـــــــــــــيلا
مـــــــــــــا كـــــــــــــاد ينبُـــــــــــــع جـــــــــــــدول الـــــــــــــدم - م - .
نهـــــــــــــر طهـــــــــــــر سلســـــــــــــبيلا
حتـــــــــــــى تعـــــــــــــالى اســـــــــــــم الإلـــــــــــــه - م - .
مجلجـــــــــــــلاً عـــــــــــــذبا جمـــــــــــــيلا
وتقهقـــــــــــــر الملـــــــــــــك الكفـــــــــــــور - م - .
يجـــــــــــــر كاهلـــــــــــــه الثقـــــــــــــيلا
***
.
مـــــــــــــن تســـــــــــــامى إلـــــــــــــى الفـــــــــــــدى .
يقهـــــــــــــر الشـــــــــــــر والعـــــــــــــدا
ولـــــــــــــئن مـــــــــــــات واحـــــــــــــد .
ألـــــــــــــف شـــــــــــــهم قـــــــــــــد اهتـــــــــــــدى
هكـــــــــــــذا توهـــــــــــــب الحيـــــــــــــاة - م - .
ويستســـــــــــــهل الـــــــــــــردى
وينيـــــــــــــر الصـــــــــــــباح فـــــــــــــي .
كـــــــــــــل أرضٍ علـــــــــــــى المـــــــــــــدى

***

شُـــــــــــــــق أخـــــــــــــــدود عظـــــــــــــــيمُ .
أوقـــــــــــــــدت فيـــــــــــــــه الجحـــــــــــــــيمُ
كـــــــــــــــل مـــــــــــــــن آمـــــــــــــــن بـــــــــــــــالله - م - .
تلقّـــــــــــــــاه الضـــــــــــــــريمُ
وقفـــــــــــــــت أم لهـــــــــــــــا مـــــــــــــــن .
طفلهـــــــــــــــا البـــــــــــــــاكي شـــــــــــــــميم
ترقـــــــــــــــب النـــــــــــــــار وفـــــــــــــــي - م - .
النـــــــــــــــار الصـــــــــــــــراط المســـــــــــــــتقيم
فجـــــــــــــــرى فـــــــــــــــي فـــــــــــــــم ذاك .
الطفـــــــــــــــل إعجـــــــــــــــاز حكـــــــــــــــيم
قـــــــــــــــال يـــــــــــــــا أمـــــــــــــــاه صـــــــــــــــبراً - م - .
صـــــــــــــــاحب الـــــــــــــــدار علـــــــــــــــيم
يـــــــــــــــومَ يفنـــــــــــــــى كـــــــــــــــل ظلـــــــــــــــم .
ويـــــــــــــــلَ مـــــــــــــــا يلقـــــــــــــــى الأثـــــــــــــــيم

***

ذي قصـــــــــــــــة عـــــــــــــــن جنـــــــــــــــودِ .
ومـــــــــــــــذبحٍ وقيـــــــــــــــودِ
فـــــــــــــــي كـــــــــــــــل عصـــــــــــــــرٍ نراهـــــــــــــــا .
النـــــــــــــــارُ ذات الوقـــــــــــــــود
والآدمـــــــــــــــي إذا مـــــــــــــــا .
غـــــــــــــــدا بوصـــــــــــــــف الفهـــــــــــــــود
مجـــــــــــــــرداً عـــــــــــــــن ضـــــــــــــــميرٍ .
وعاريـــــــــــــــاً عـــــــــــــــن عهـــــــــــــــود
ذي قصـــــــــــــــة قـــــــــــــــد حكاهـــــــــــــــا .
وحـــــــــــــــي الإلـــــــــــــــه الـــــــــــــــودودِ
واليـــــــــــــــوم فـــــــــــــــي كـــــــــــــــل يـــــــــــــــومٍ .
تجـــــــــــــــري بأيـــــــــــــــدي يهـــــــــــــــودِ

د. محمود أبو الهدى الحسيني